بتقدم ذكره ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى انهم يقولون
من جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى
الذي أرادوا به فانهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر أو بالله
إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه ولا لآبائهم الذين يقولون بمعنى التبني
كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام
حاجته سبحانه إلى الولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والأول أبلغ وأدل على المقصود تخرج من أفواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف وهو المخصوص بالذم لأن كبر ههنا بمعنى
بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الإشمام إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم إذا ولوا عن الإيمان شبهه لما تداخله من الوجد على
توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وقرئ باخع نفسك على الإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن أسفا
للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والأسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح
على لأن فلا يجوز إعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية إنا جعلنا ما على الأرض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولأهلها لنبلوهم أيهم أحسن عملا في تعاطيه
وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه
تسكين لرسول الله عليه السلام وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد
فيه والجرز الأرض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها
من الزينة ترابا مستويا بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت
بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من
آياتنا عجبا وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة
للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها

إليها ليست بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية ابن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم
وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم
فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا
أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء
٢٩٥ رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك
أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله
فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته
فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى
رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا
ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت نفسها إلي
فلما انكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت
لها خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم
إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث
كان لي أبوان همان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي
فحبستني ذات يوم غيث فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي
فحلبت ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت
جالسا ومحلبي في يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلته
لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير
إذ أوى الفتية إلى الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس
على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب

Copyright © King Saud University